

فلسفة الحوار والسلم عند كارل بوبر

د. كريمة مقاوسي: جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي: الجزائر.
أ. لطيفة بهلول: جامعة محمد الصديق بن يحيى- جيجل: الجزائر.

الملخص:

لا يمكن حسب فلسفة الأخلاق عند كارل بوبر أن تكون السعادة نتيجة لثورات دموية ، ولا نتيجة لقتل روح بشرية واحدة ، إن الروح البشرية أعظم من كونها قربانا للتغيير ، يضع كارل بوبر بديلا عقلانيا يتمثل في مشروع أمل وحياة يمكنه أن يحقق التغيير ، لكن بشرط احترام الاختلاف بين البشر وعدم المساس بقدسية الحياة البشرية ، ويقترح الحوار العقلاني بدل التغيير الدموي .
الكلمات المفتاحية: فلسفة الأخلاق ، الحوار ، السلم ، العقلانية ، التواصل.

Abstract:

According to Karl Popper's philosophy of ethics, happiness can not be the result of bloody revolutions, nor the result of the murder of one human spirit. The human spirit is greater than an offering of change. Karl Popper puts a rational alternative to a project of hope and life that can bring about change, Between human beings and not compromising the sanctity of human life, and proposes rational dialogue instead of bloody change.

Keywords: Dialogue, Peace, Rationality, Philosophy of Ethics, communication

مقدمة:

هندس كارل بوبر للتواصل العقلاني بين الأفراد والشعوب ، بوضع مخطط عقلاني يتضمن تقنيات قابلة للتطبيق، تهدف للقضاء على الأفكار التي تنتشر الدعوة إلى الفناء بواسطة منهج العنف والحروب، الأيديولوجيات المعززة للتدمير والقتل تظهر في شكل نظريات اجتماعية وسياسية توهم الإنسان بالتغيير الاجتماعي نحو الأفضل ، لا يمكن حسب فلسفة الأخلاق عند كارل بوبر أن تكون السعادة نتيجة لثورات دموية ، ولا نتيجة لقتل روح بشرية واحدة ، إن الروح البشرية أعظم من كونها قربانا للتغيير ، يضع كارل بوبر بديلا عقلانيا يتمثل في مشروع أمل وحياة يمكنه أن يحقق التغيير ، لكن بشرط احترام الاختلاف بين البشر وعدم المساس بقدسية الحياة البشرية ، ويقترح الحوار العقلاني بدل التغيير الدموي

إن الهدف من هذا البحث هو التعريف بالجانب الأخلاقي والإنساني للفلسفة العقلانية عند كارل بوبر، كونها فلسفة علمية حتى في جوانبها الإنسانية، حيث يعرضها في شكل حجج مقنعة تجبر العقل البشري على

الاقتناع، وتفنيد الأفكار المتطرفة والمشجعة على العنف، تهدف فلسفته إلى توجيه الحياة البشرية نحو البحث عن الأفضل.

أهمية هذا البحث تتمثل في تفنيد بوبر للنظرية التاريخية التي تعتبر منبعاً للفكر الشمولي الذي يعتمد التغيير الكلي الدموي، وتأكيد على خطورة المرجعية الفكرية التي تدعي أنها علمية وتنفذ لعقل الإنسان بهذا الغطاء، ثم يشرع في وضع مشروع العقلانية التي تضع الحوار بدلاً من الصراع الدموي، كمنهج تغيير فعال قائمة على حجج منطقية.

المشكلة المطروحة في هذا البحث هي: كيف يتم تفعيل الحوار بين الأفراد والشعوب لتحقيق السلم؟

أولاً. تجفيف منابع الفكر المحرض على فناء البشرية.

أول خطوة لعقلنة التواصل الفكري هي تحرير الفكر من النظريات المتطرفة، هي الإنتاج العلمي الذي يحاكي فكرة الفناء ويظهر في شكل أسلحة مدمرة، كل ما تطور العلم كلما زادت قدرتها التدميرية، فعلت الأسلحة الموجودة على سطح الكرة الأرضية سوف تدمر كوكب الأرض، إذن أصبح العلم مسخراً لقتل الإنسان، وكذلك تدمير الشعوب.

إن الفكر البشري هو الذي ينتج الموت، قد يكون فكراً فردياً يتسبب بحالات عنف فردية أو جامعية، لكنها تبقى محدودة، النظريات العلمية التي تنتج وتوثر الأيديولوجيات المبررة للعنف هي التي تسبب الحروب الأهلية والحروب العالمية، وسوف تسبب فناء البشرية، ومنه لا يمكن فتح تواصل عقلاني بين الأفراد والشعوب، قبل التخلص من كل النظريات التي بررت للقتل والعنف بهدف تدمير " الحضارة التي يمكن وصفها بأنها تهدف إلى تحقيق ما هو إنساني ومعقول كما تهدف إلى تحقيق المساواة والحرية، حضارة لاتزال في طفولتها كما كانت دائماً وقد تستمر في التطور على الرغم من حقيقة أن قادة ومفكري الجنس البشري قد غدروا بها في معظم الأحوال"¹.

وضع كارل بوبر خصائص مشتركة لهذه النظريات المدمرة، وجمعها في نظرية واحدة أبدع لها اسما جديدا وهو التاريخانية، هي فلسفة يأس وعجز وعدم رغبة في الحياة وفي المقابل الجنوح نحو فكرة الموت، بالنسبة لكارل بوبر قد يكون الواقع بائسا لكن رؤية الإنسان للبؤس هي التي تفرق في تحديد المشكلة والحل.

غالبا كل النظريات التاريخانية ترى الحل في تلك النبوءة والمعجزة التاريخية التي سوف تأتي وتحرر كوكب الأرض والشعوب من مشاكلها ، يختلف الحل من شعب لأخر ، لكن هناك نقطة مشتركة ، كلها تعرض لحولا خرافية تستدعي قوى غيبية تتفرغ لحل المشاكل المختلفة للبشر ، وقد تظهر في شكل شعب مختار مثل حالة اليهود ، أو حالات مختلفة تتنبأ بذلك البطل الخرافي الذي يملك قوى إلهية تتكفل برفع المعاناة وتحويل الحياة نحو الأفضل ، يدعون قدرات خرافية مشابهة لقدرات وتنبؤات الكهنة والمشعوذين².

يمكن تشخيص خطورة هذه النظريات في أنها تحاكي رغبة الإنسان في الكسل وعدم تحمل المسؤولية، وأخذ مخاطرة التحكم في الحياة البشرية، لذلك تجده هذه الأفكار التي تفرض أنه بريء وعاجز عن الحل وأنه لا لوم عليه، لأن الحلول المقترحة تكون أكبر من قدراته

كما أن هذا النظريات ترفع عن الإنسان القدرة كونه كائنا عاقلا متحكما في قدره. لا يقصد بالقدر المفهوم الديني وإنما حياته بتفاصيلها اليومية البسيطة وقراراته المختلفة التي تساهم في حل مشاكله، حتى هذه القدرة يتخلص منها وينفق حياته متوقعا قوة غيبية تتفرغ لحل مشاكله. "خوف من إدراك أننا نحمل المسؤولية الكاملة حتى عن المعايير التي نختارها"³

يقدم كارل بوبر في كتابه المجتمع المفتوح الجزء الأول نظرية كل من هيرقليطس وأفلاطون كصورة لبوادر هذا الفكر التاريخاني الخطير الذي استمر في التطور في الفلسفة الحديثة في أفكار كل من ماركس وهيجل، هؤلاء الفلاسفة غيرهم هم نموذج للفلسفة التاريخانية لكنها فلسفة أوسع لأنها مفتوحة، ومنه وضع كارل بوبر الأسس الخطيرة المشتركة بينها ، كميّار للكشف عنها في أي نظرية أخرى تبث التطرف الأيديولوجي نفسه " التاريخانية

فكرة قديمة وهي مجموعة أفكار مترابطة بشكل واسع وأصبحت لسوء الحظ تمثل جزءا كبيرا من المناخ الروحي الذي يؤخذ كقضية يسلم بها ويصعب أن تكون موضع شك⁴

يؤسس بوبر للتاريخانية من فكرة التغيير أو الصيرورة الحتمية عند هيراقليطس، وتدرس بالرجوع لحياته الشخصية وحالاته النفسية، فالتغيير عنده كان في فترة تعرض فيها الحكم اليوناني لنقلة من النظام القبلي الذي يحكمه الكهنة وأصحاب المكانة الرفيعة، وبما أن هيراقليطس ينتمي لهذه الطبقة فقد رفض بشدة التحول للديمقراطية معتبرا الشعب غوغاء.

فكرة التغيير عنده لا يقصد بها تغير من الارستقراطية للديمقراطية بل من الديمقراطية للأرستقراطية ، ما لاحظته بوبر هو جعل قانون التغيير قانونا حتميا مطلقا ، وقد أخذت هذه الفكرة بعده معاني مختلفة حملت في بعض الأحيان معاني أيديولوجية خطيرة ، دائما كل شيء سوف يتغير حتى لو كان تغيرا نحو الفساد "شذراته المبكرة التي يرجع تاريخها لحوالي 500 ق. م قدمت الكثير من سمات التوجهات الحديثة للنزعة التاريخانية المعادية للديمقراطية"⁵

أخذ أفلاطون فكرة التغيير عن هيراقليطس وأضاف عليها أن التغيير تتحكم فيه قوى أكبر من الإنسان، هذه القوة هي التي اختارت الطبقات الاجتماعية المختلفة، ومنه لا يمكن الاحتجاج على التصنيف الاجتماعي، لقد طور أفلاطون فكرة التغيير ليحولها لفكرة تاريخانية توهم الإنسان بتقبل مكانته الاجتماعية حتى لو كان ينتمي لطبقة العبيد. إذن تاريخانية أفلاطون تظهر في تدخل ألهاة في تحديد القدرات والطبقات وهذا ما يزرع فكرة نزع القدرة عن القوة البشرية ومنحها لقوة غيبية أفلاطون ، التغيير أيضا يتحكم فيه المصير التاريخ الحتمي⁶

التغيير عندما ماركس في الفلسفة الحديثة أخذت صورة الثورة العمالية، وهي دعوة من ماركس إلى اتحاد يشكل قوة يحاول بدوره فرض التغيير الاجتماعي والاقتصادي بالقوة، عرفت الاشتراكية العالمية شعبية كبيرة بسبب غطائها الإنساني، لأن الطبقة المستهدفة هي الطبقة العمالية التي تعرف حالة معيشية بين الضعيفة والمتوسطة، ولأن هذه

الطبقة تشكل الأغلبية مقارنة بأصحاب رؤوس الأموال، يشيد بوبر بالبعد الإنساني لفكر ماركس، لكنه يركز على دعوته للتغيير وربطها بالعنف.

لا توجد دعوة صريحة للعنف من قبل ماركس حيث يكون الضغط اقتصاديا في تصريحاته الواضحة ، لكنه يقول بالثورة الاجتماعية والتغيير ويذكر العنف كحالة طارئة لكن حسب بوبر ماركس فتح منهجا للعنف والتغيير الاجتماعي بالثورة وعندما طبق فكره عرف العلم صراعات وثورات دموية شعبية عبر مختلف دول العالم ، كانت في مجملها تحمل أفكارا إنسانية تحرر الشعوب المستضعفة ، هناك شعوب وصلت لبر الأمان لكن توجد في المقابل صور خطيرة لانحراف الثورات نحو الحروب الأهلية والعنف الاجتماعي ، إن نظرية ماركس كذلك يجب التخلص منها لأن خسائر فشل خيارات الثورات الدموية تكون نتائجها خطيرة خاصة مع تطور الأسلحة الفتاكة يميز بوبر بين الماركسية الحقيقية مذهب ماركس الأصلي والماركسية السوقية الناتجة عن القراءات المختلف لمذهب ماركس وتطبيقاته⁷

وصف بوبر هيغل بالفيلسوف العنصري الذي أسس لفكر أيديولوجي كان مرجعية لحرب عالمية إنه الفكر الأخطر، وفرق بينه وبين نقده لأفكار هيراقليطس وأفلاطون وماركس أن هؤلاء كانت لهم أفكار جيدة أثرت في الفكر البشري بينما وصف فكره بالخزعبلات التي لا يفهمها أحد وقصد هنا فكرة الروح عنده إنه مجرد أوهام ميتافيزيقية صاغها في هالة لغوية جعلت البعض يعتبرها فلسفة وهي مجرد تقاهات، هيغل مازال نبيا مزيفا وعدوا للبشرية.

أسس هيغل لفلسفة عنصرية تقول بالشعب الأفضل والعرق السامي، إنها سموم العنصرية التي انطلقت منها النازية فحسب هيغل الروح المطلق يختار شعوب من عرق سامي لتقود العلم وتتحكم في دورة التاريخ، الأمة الجرمانية مختارة من الروح المطلق، إنه تأسيس خطير للحروب بين الشعوب وللعنصرية.

وقد ظهرت هذه الأفكار تطبيقيا في الحركات المتطرفة مثل النازية وفي الحروب العالمية التي أفنت البشرية" الحرب تحمي الأفراد من الفساد الذي قد يحدثه السلم الدائم ... عندما يكون السلم في المنزل يجب أن تكون الحرب في الخارج هذه الفقرة مأخوذة من كتابه فلسفة القانون " ⁸

لا يمكن فتح حوار عقلائي بين الشعوب إلا إذا تم استئصال النظريات المختلفة التي تؤسس لأيديولوجيا الصراع والتطرف، مادامت هذه الأفكار منتشرة فإن كل نظرية تأتي بعدها في سياق تراكمي للعلم تستلهم منها وتضيف لها أفكار تزداد خطورة بتطور العلم.

يؤيد بوبر منهج الصراع المميت في العلم فقط، ويرفضه في الحياة البشرية، بين النظريات العلمية يكون الصراع بين مجموعة نظريات تخوض الاختبار، وفي حالة فشلها تخرج من تاريخ العلم وتعدم، هذه الفكرة مستوحاة من منهج الصراع الدارويني بين الكائنات الحية التي تخوض قتالا مميتا يكون البقاء في للأقوى.

يعزز كارل بوبر فكرة الصراع المميت داخل العلم، ولا يمكن لنظرية مهما كانت قوية أن تدخل العلم إلا من باب الصراع المميت، وهي محكومة إما بالفناء أو بالتعزيز المؤقت فتوصف بأنها علمية، هذا الوصف يكون مؤقتا إلى حين دخولها صراعا جديدا تدخل به دورة الفناء جديدة.

إذا كانت النظرية العلمية قوية بما يكفي تتسحب نحو العلم مؤقتا، لتبدأ دورتها من جديد أو تقنى ويتم التخلص النهائي منها، بهذه الطريقة تتم تصفية العلم من تراكمات النظريات التي لا يعلم أحد مصداقيتها من عدمها، وخاصة في العلوم الإنسانية، التي تشهد تراكما كبيرا يزداد عبر تاريخ تطور العلم، لعدد من النظريات التي تحمل أفكار خطيرة تعزز ثقافة العنف..

ثانيا: هندسة أخلاقيات التواصل بين الأفراد والشعوب.

أول خطوة في عقلنة التواصل الفكري هو تحرري الفكر من النظريات المتطرفة وهذا ما أشرنا إليه سابقا ، بعدها مرحلة البناء الفكري القائم على مخطط هندسي دقيق ، يستعمل كارل بوبر كلمة هندسة بمعنى مختلف ، المصطلح

مفيد نظرا لأننا نحتاج إلى مصطلح يغطي كل الأفعال الاجتماعية خصوصا أن المجتمع يطالب بتحقيق بعض الأهداف والغايات ويستعمل عن وعي كل ما هو متوفر من معرفة تكنولوجية " ⁹ .

هندسة التواصل العقلاني في فكر بوبر بناء عقلاني مؤسس على أفكار جزئية متماسكة تثبت ضرورة التواصل العقلاني ، وفي الوقت نفسه تقدم مبررات تجعل التواصل العقلاني ضرورة قصوى " أفراد أثرياء بكثير من الحجج ، وكثير من الحلول للمشكلات المهمة ¹⁰ .

التواصل العقلاني يتطلب التخلص من منهج الاستقراء وكل الأفكار التي تقوم على نفس مبادئه، بالنسبة للاستقراء يتم تجميع ملاحظات لحالات جزئية ثم تعميم لتصبح قانونا علميا مطلقا يتوقف عندها العلم، ويدخل في دائرة التبرير والبحث عن حالات جديدة، المنهج الاستقرائي هو منهج مغلق يعزز فكرة الوصول للحقيقة المطلقة، التي تقصي الحالات الفردية والجزئية التي تظهر مستقبلا وهي قادرة على تنفيذ القانون، هذا المنهج تحول لنمط تفكير مغلق اقصائي، حيث يعطي للإنسان القدرة التي تجعله يعتقد أنه وصل للحقيقة.

في المقابل يبني بوبر المنهج التقني كبدل للاستقراء وهو مناقض له في منهج الوصول للحقيقة وكذلك في كونه يفرض مسبقا وجود حقائق نسبية قابل للتغيير، وهذا ما يضع التفكير البشري في مكانته الصحيحة إنه فكر مفتوح على البحث ومعياره الوحيد هو تجاوز الاختبارات، التقني يقترح النقد كمنهج وكثقافة تفكير. إن النظرية العلمية عندما تواجه التقني هي تواجه هجوما عنيفا، وعليها أن تخوض الصراع مع النظريات الأخرى " من الخطأ القول أنه يجب تبرير معارفنا ونظرياتنا بواسطة حجج ايجابية إيجابية ¹¹ .

أي فكرة علمية مهما بلغت دقتها وهذا ينطبق كذلك على النظريات العلمية مثلا نظريات أينشتين، هي نظرية فريدة من نوعها لا تقوم على جمع التوافقات الجزئية وكلما زادت العينات يقترب العلم من القانون، نظرية اينشتين فريدة من نوعها تم اختبارها بالتجربة الاقصائية، فهي أولا قابلة للاختبار لأن محتواها يسمح بذلك، كما أنها نظرية جسورة تضع الاحتمال الواحد في الاختبار ولو فرضنا فشله تعدم النظرية، إذن هي لا تقوم على تجميع العينات

التي تؤيدها. إذن يفتح العقل البشري على فرص وأفاق تفكير سليمة تبعده عن فكرة امتلاك الحقيقة المطلقة، كل الحقائق اكتسبت صفة العلمية لأنها خاضت اختبارات وبدلت كل ما بوسعها.

ما يستفاد من منهج التقيد هو تقنيات التفكير العقلاني، وعلم مفتوح لا يؤمن بالمتلقية الاقصاء، وهذا ما يوجد الفكر البشري لافتراض إمكانية نقد معرفته كاحتمال مستقبلي مادام التقيد يعدم فكرة المتلقية في العلم، وبالتالي يتم القضاء بشكل منطقي على المصدر الأساسي المغدّى للعنف والتطرف وهو اقضاء الآخر فكريا وجسديا بحجة الحقيقة المطلقة، ما دامت المطلقة رفعت عن أدق النظريات العلمية التي أثبتت بعد قرون وجود تعديلات وبدائل، فذلك الفكر البشري دائما هناك احتمال الخطأ أو التعديل ولا وجود للحقيقة المطلقة.

ثالثا: فلسفة التواصل عبر الأمل وعقلنة الأفضل.

الأمل هو ثقافة الحياة بالمفهوم السوي للأمل " افتح عينيك وأنظر إلى مقدار جمال العالم، وكم نحن محظوظين لأننا على قيد الحياة " ¹² . أما مفهومه الفاسد فهو المفهوم الشمولي الذي يعطي نتائج عكسية تتحول لثقافة بؤس ورغبة في الفناء كنتيجة للفشل، ذلك أن الأيديولوجيات المختلفة وخاصة الشمولية واليوتوبية وهي الأكثر انتشارا كونها تتغدي من الفكر الديني والتاريخي الذي يفلت غالبا من النقد العلمي العقلاني وينسحب للمقدس الذي يمنع الخوض فيه.

في نظرية الدولة المثالية عند أفلاطون وغيرها من النظريات السياسية والاجتماعية التي تحاكي فكرة المثالية ، تنتقل الشعوب دفعة واحدة من الفساد نحو الصورة المثالية ، كما في حالة المجتمع الماركسي الذي ينتقل من الفساد الاقتصادي والاجتماعي إلى السعادة الشيوعية التي القائمة على العدالة الاجتماعية ، تقترح مختلف النظريات طرق الانتقال نحو السعادة المطلقة ، لكن أخطر المناهج هي الثورات الدموية أو انتظار المخلص الذي يظهر في صورة مخلوقات خرافية خارقة تأتي لترفع الغبن عن الشعوب ، شعوب كاملة غير قادرة عن رفع الغبن عنها تعتقد بفرد منتظر قادر على فعل ذلك ، هذا هو الفكر البشري المنتج للموت والعدمية والحروب يريدون رفع المسؤولية عنه ووضعها على كاهل التاريخ ¹³ .

لأن المخلوقات الخرافية لم تأتي عبر تاريخ البشرية، لا وجود لتلك القدرة على التحول للسعادة المطلقة لأنها معنى تافه لا وجود له، فالحياة البشرية حسب كارل بوب هي سلسلة من المشاكل التي يمكن التعامل معها بالقدرات البشرية العادية، وليس في حاجة لقوة خرافية، لأنها غير موجودة. ولأن التأكيد على وجودها هي خرافة مدمرة لأن الإنسان والشعوب تستدعيها في لحظات اليأس والحروب وغيرها من المعضلات المختلفة، وعند الاختبار الأول التأكد من عدم تدخلها، ينحرف الفكر البشري نحو النقيض تماما وهو الرغبة في التخلص من الحياة التي لا معنى لها ويفتقد فيها قيمة الأمان، بمفهوم القوى التي تحميه وتحل مشاكله.

إن الأمل يبني وفق المفهوم البشري الذي لا يتجاوز قدراته ، يؤسس له من خلال التخلص من فكرة الإصلاحات الشمولية التي توهم بعولمة سعادة اجتماعية لا ضل فيها ومن الخطأ أن نعتقد بوجود عوالم مثالية قد تكون أفضل من العالم الحقيقي¹⁴، يمكن التأسيس لمجتمعات سعيدة بالتغيير البشري المنهجي والجزئي الذي يأخذ الوقت والجهد ، وحتى الشعوب التي تصل على السعادة بالمفهوم البشري تعاني من المشاكل بدورها وبعضها لا حل له ، هنا يكون الأمل منبع حياة مضاد للفناء ، عندما لا يتسلم الفكر البشري في بحثه عن الحل والأفضل منطلقا من ايمانه بقدراته ومجهوداته الت لا تتوقف ، وهذا ما يمنح الإنسان تصالحا مع امكانياته وحياته مع رؤية لمستقبل أفضل.

إن التقليل من حجم المعاناة يعتبر بحثا نحو الأفضل يفترض بوبر وجود مشاكل لا حل لها ويقترح التقليل من ضررها بدل الاستسلام لها وكذلك مع تحمل المسؤولية دون الانفلات لتسليم الحل لقوى غيبية كتعبير عن فشل القوة البشرية، فتاريخ العلم يظهر مشاكل كانت تعتبر مستعصية الحل لكنها عرفت الحلول في الأجيال التي جاءت بعدها.

إن عقلنة مفهوم الأفضل يكون بالانطلاق من الواقع واعتبار أي خطورة مهما كانت بسيطة نحو الحل تفوقا نحو الأفضل وباعثا على الأمل ، وبهذا يركز كارل بوبر على الفرد كونه الجزء الأهم من البنية الاجتماعية وضرورة التوجه إليه بفكر يتلاءم مع قدراته واشراكه في التغيير هناك قرارات صغيرة، و تغيير نحو الأفضل من يوم إلى يوم و من سنة لسنة¹⁵.

أمل الشعوب في السعادة القصوى بسبب تحركات اجتماعية منجرفة وراء حلول مدمرة يسيرها أعداء البشرية ويكون ثمنها الحروب الأهلية والحروب العالمية وعواقبها تزداد خطورة بتطور وسائل التدمير، لذلك نلاحظ أن بوبر يتوجه بفكره للفرد البسيط ككائن عاقل ويخاطبه، بمعنى أنه ينقد الفلسفات المختلفة التي تستعمل كلمات ميتافيزيقية فضفاضة.

المجتمع هو كلمة نستعيرها لتعبير عن مجموعة أفراد، وعندما نخاطب المجتمع فهو خطاب موجد لكل جزء فيه، في حين أن الخطابات العاطفية التي تستعمل كلمات تعبئها بمعاني أيديولوجية لا تقدم حلولاً عقلانية، وغالبا تكون خطابات أيديولوجية تحرض على التعبئة الاجتماعية.

رابعا: أخلاق التواصل المضاد لثورات، الحروب.

التواصل يكون مع الذات ومع الآخر، فلسفة الأخلاق عند كارل بوبر تقوم على التواصل السليم مع الذات وفق إعطاء صورة سليمة للإنسان، إنه الكائن الذي يعبر عن ماهيته بالتعليم بالمحاولة والخطأ، لكن بوبر لم يشجع فكرة الخطأ العبثي الذي يسبب ضررا كبيرا.

يكون ذلك بالتخطيط المنهجي والدقيق للحياة الفردية والاجتماعية، وخاصة في مسألة التغيير يجب أن يكون التغيير متماشيا مع مخطط هندسي محسوب النتائج يتوقع الأخطاء ويضع خطة تتعامل مسبقا معها في حالة حدوثها، إذن يقر كارل بوبر بالخطأ الذي يرد في سياق حياة فردية أو اجتماعية قائمة على تفكير عقلائي يضع خطط بديلة للتعامل مع الأخطاء وفي حالة حدوثها لا تتحول للجلد للذات أو كوارث اجتماعية.

أما التواصل مع الآخر فيقوم على أهم فكرة جاء بها منهج التنفيذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتحول الخلاف في الرأي لعداوة ورغبة في اقضاء الآخر لأن قاعدة الانطلاق في التواصل ، لم يسبق وأن كانت المعرفة المطلقة ذات أهمية في الحياة البشرية ، لأنه غير موجودة ولأنها تناقض أهم ميزة للوجود النسان على سطح الأرض وتتناقض مع طبيعته النقاش بين أفراد يختلفون في الأطر المرجعية ببعث النقاش المثمر الحر ¹⁶.

الإنسان هو الكائن العاقل الذي يصبح أفضل بحياة سوية تلخص في سلسلة إنجازات ونجاحات ، والنجاح يكون بتجاوز المشاكل وحلها" إن جهلنا بلا حدود، وهو يضيف علينا الاعتدال، والحق أن هذا التقدم الغامر للعلوم الطبيعية، هو بالتحديد ما يذكرنا باستمرار بجهلنا حتى في مجال العلوم الطبيعي¹⁷

ومنه يكون التواصل مبني على قاعدة سليمة ، حتى لو كانت هناك حقيقة فهي قابلة حتما للنقد والتغيير الفكري ، ولا داعي للجوء للإقصاء والقتل بسبب الاختلاف الفكري وبهذا يحاول وضع فروض اجتماعية تعبر عن واقع المجتمع، وتسعى لإيجاد حلول حقيقية لمشاكله وأن المعرفة المطلقة اليقينية، لا وجود لها في مستوى الإدراك البشري، لأن أقصى ما يمكن أن يصل إليه إنسان هو الاقتراب من الحقيقة يقول بوبر " قال سقراط أنا أعلم أنني لا أعلم وهذا ما جعلني تفنيدي¹⁸ .

يستثني بوبر حالات خاصة من الثورات مثل الثورة الجزائرية وثورات أخرى ذكرها في كتبه، فحتى اعتراضه على فكرة الثورة عند ماركس لم يكن دون لملاحظة حول مساندة هذا الفكر لثورات إنسانية لا نقاش فيها ولا حل لها غير الثورة وتحصر في شعوب تعتدي على شعوب أخرى بالغزو فلا يطرح حل الحوار العقلاني في مثل هذه الحالات، وإنما فند بوبر الثورة الداخلية داخل مجتمع يري في الدموية والقتل نتيج تغيير يمكن أن يحمل السعادة والسلام لذلك الشعب.

لا توجد مقايضة بين حياة فرد واحد وحياة شعب، روح البشر الواحد لا تقدر بثمن ولا تهدر لأي قضية مهما كانت، مع احترام فكرة التضحية كقرار فردي غير منبعث من تحريض أيديولوجي وهنا يشير بوبر لتجربته السيئة مع الماركسية، حيث كشف بعد مظاهرات قتل فيها أتباع للماركسية أن قادة الماركسية لم يأسفوا لموت أولئك السباب بالعكس كان العدد قليلا بالنسبة إليهم فكلما زاد حجم المجزر كلما خدم ذلك قضيتهم أكثر وبهذا تتحرف دائما الأفكار الإنسانية وتتهب من طرف من يحولها لمجازر لخدمة مصلحته.

ومنه نصل لأهم فكرة في تفعيل التواصل والسلام بين الأفراد والشعوب، يمكن لأي إنسان التضحية بحياته في سبيل قضيته ولكن أي تحريض لإنسان أو مجتمع للدفع بها نحو القتل قربانا لمصالحه يعتبر جريمة، وهذا يعتبر

تنويرا عقلا نيا مميذا من قبل بوبر وتنبيه لكل من يحمل ففكرا يدعو إلى القتل ويبقى هو دائما على قيد الحياة، هذا ليس تغييرا وإنما جريمة تحركها مصالح وأيديولوجيات تضغط بالحروب والقتل.

الحل الوحيد للخروج من دمار الثورات والحروب الأهلية هو وطع هندسة إصلاحية عقلانية قائمة على إصلاحات معقولة يتكفل بها كل فرد في المجتمع يأخذ وقعه ويتحمل مسؤوليته حسب مكانته وقدراته، وأيضا بوضع رؤية واقعية للسعادة الفردية والاجتماعية، فالتخلص من فكرة الشعوب التي تقفز بالثورة باتجاه حل سحري يخلصها من كل المشاكل سيكون له نتائج إيجابية، لأن مثل هذه الأخطاء يكون ثمنها مجازر شعبية، وبالتالي لا سبيل لتجربتها في سبيل المحاولة والخطأ لا يكون ثمن الخطأ مجزرة وقتل، حة لو كان الضحية فردا واحدا.

أما بالنسبة للحروب التي تنشأ بين الشعوب فالحل الوحيد لها هو الإشارة الواضحة لتكلفة حرب تنشأ في عالم يحتوي على أسلحة مدمرة، إنه الطريق نحو فناء البشرية" بوبر يقول بالاعتقاد أن المجتمع العالمي هو نتيجة لقرارات الإنسان"¹⁹، وبالتالي لا نقاش في نشوب حرب عالمية بعد الحالة الطيرة التي وصل إليها التسليح هذا أكبر دافع لتجنب الحروب.

كما أنه لا يوجد شعب أفضل من شعب لأن تركيبة البشرية قائمة على الاختلاف والاستفادة من هذا الاختلاف حضاريا وثقافيا، بالنسبة لبوب ليس الاختلاف هو سبب الحروب وإنما أعداء البشرية الذين يستغلونه لمصالحهم وينشرون الفتن والحروب القائمة عليه لإقامة الفوضى، وحتى هذه الفوضى أصبحت بالنسبة للجميع واضحة الرؤية أي حرب عالمية أخرى سوف تهدد بقاء الكائن البشري على وجه الأرض.

نتائج البحث: _ البيئة الفكرية قائمة على نظريات معرفية تؤسس للعنف والتغيير الدموي، وقد تسببت هذه النظريات حرب عالمية، تطورت النظريات التاريخية وأصبحت أكثر خطورة، وبالتالي لا يمكن التأسيس لفلسفة التواصل والحوار قبل تنفيذ هذه النظريات والتخلص من أفكارها التي تثبت السموم .

_ التواصل بين الأفراد والشعوب يتأسس على حقيقة علمية قائمة على منهج علمي وهو التنفيذ، هذا المنهج يرفض فكرة الحقائق المطلقة، ويرى العلم في قابليته على التغير والتنفيذ، ومنه يصبح الفكر البشري أيضا فكرا نسبيا ولا يمكن للإنسان أن يدعي امتلاك حقائق مطلقة، تعرضه على اقضاء الآخر، وبهذا يصبح فكره مفتوحا.

_ التواصل بين الشعوب أصبح ضرورة ملحة، لأن العلم طور أسلحة دمار شامل، وفي حال نشوب صراعات وحروب جديدة، سوف يكون ذلك خطرا على البشرية جمعاء، وهنا يشير إلى خطورة تحويل العلم لألة منتجة للموت.

_ الأمل وثقافة الحياة هي تقبل فكرة السعادة والإصلاح بالمعنى البشري السوي، والقضاء على فكرة التغيير الشمولي بالنقلة نحو المجتمع الوثوبين السعيد، والأخطر اقتراح الثورات الدموية كمنهج اصلاح، لا يمكن أن يكون هناك إصلاح يكون قربانه الدماء البشرية، إنها لا تقدر بثمن، لذلك وجب اللجوء إلى اللّاح العقلاني الذي يكون بالتصالح مع الذات ومع الآخر.

قائمة المراجع:

¹ Karl popper: The open society and its enemies, The spell of Plato, Volume 1, George Routledge and sons ltd, London, 1947.p. 1

²Karl popper: The open society and its enemies, The spell of Plato, Op. Cit., p 3

³ Karl Popper: The open society and its enemies , Volume 2, Hegel and Marx , Op. Cit., p . 280

⁴ Karl popper: The open society and its enemies, The spell of Plato, Op. Cit., p . 9

⁵ Karl popper: The open society and its enemies, The spell of Plato, Volume 14

⁶ Ipide .p.14

⁷ Karl Popper: The open society and its enemies , Volume 2, Hegel and Marx , Op. Cit., p . 82

⁸ Karl Popper: The open society and its enemies , Volume 2, Hegel and Marx , Op. Cit., p . 69

⁹ Karl popper: The poverty of Historicism , The beacone press, Boston , 1957.p.58

¹⁰ Karl Popper: The open society and its enemies , Volume 2, Hegel and Marx , Op. Cit., p.255

¹¹ Karl Popper: Conjectures and refutation, Op.Cit., p. 29.

¹² Karl Popper: The open society and its enemies ,Volume 2 Hegel and Marx , Op.Cit., p. P233..

¹³ Karl Popper: The open society and its enemies ,Volume 2 Hegel and Marx , Op.Cit., p82 .

¹⁴ Karl Popper: The open society and its enemies ,Volume 2, Hegel and Marx , Op. Cit., p. 231.

¹⁵ Karl Popper: The open society and its enemies ,Volume 2, Hegel and Marx , Op. Cit., p. 135 .

¹⁶ Karl Popper: Conjectures and Refutation, Op. Cit., P . 352.¹⁶

¹⁷ كارل بوبر بحثا عن عالم أفضل، 1999، ترجمة أحمد مستجير، مصر، مكتبة الأسرة. ، ص. 85

¹⁸ Karl popper, (2005), Untended quest, An intellectual autobiography. London and New York, Routledge. , p.73 .

¹⁹ () William Agorton : Karl Popper and the social sciences ,State university of New York Press, 2006, p.14